الإطناب وجماليته في الحديث النبوي

Redundancy and aesthetics in the Prophet's hadith

جمال عصام *

تاريخ النشر: 2023/01/20	تاريخ القبول: 2023/04/01	تاريخ الإرسال: 2023/05/10

الملخص:

سنتناول في هذا البحث أسلوب الإطناب في الحديث النبوي وأبعاده الجمالية، إذ يكمن هدفه في محاولة المساهمة في كشف الغطاء عن مفهوم الإطناب وعن توجيه أنظار الباحثين إلى الاهتمام في البحث عن مظاهر الأساليب البلاغية في الحديث الشريف، فبلاغته لا تقل أهمية عن بلاغة القرآن الكريم .

أما أهميته فتكمن في الإجابة عن إشكالية مطروحة في البحث وهي :

- مفهوم الإطناب كفن بلاغي في الحديث النبوي الشريف وبيان أبعاده الجمالية والفنية وإسهامه في مباحث البلاغة العربية ثم الكشف عن الالتباس الواقع بين مفهوم الإطناب كفن بلاغي يرتبط بفائدة، وبين الإطالة كمفهوم سلبي، فالإطناب يمثل مظهرا من مظاهر فصاحته ﷺ، لذلك يتوجب على الباحثين أن يثروا البحث في هذا الجانب وفي جوانب بلاغية أخرى.

الكلمات المفتاحية : الإطناب، التوشيع، جمالية، التذييل، الإيغال.

Abstract:

In this research, we will discuss the style of verbosity in the Prophet's hadith and its aesthetic dimensions. The aim of the research lies in an attempt to contribute to uncovering the concept of redundancy and to direct the attention of researchers to the interest in searching for manifestations of rhetorical methods in the noble hadith, because its eloquence is no less important than the eloquence of the Holy Qur'an.

Its importance lies in answering a problem raised in the research, which is:

* جامعة يحيى فارس المدية assadjam692@gmail.com

- *The concept of redundancy as a rhetorical shroud in the honorable Prophet's hadith and an explanation of its aesthetic and artistic dimensions and its contribution to the investigations of Arabic rhetoric, then revealing the confusion between the concept of redundancy as a rhetorical shroud linked to a benefit, and prolongation as a negative concept, as redundancy represents a manifestation of its eloquence, so researchers must enrich the research In this aspect and in other rhetorical aspects.*

Key words: *Verbosity, dissemination, aesthetic, appendix, exaggeration*

المؤلف المرسل: جمال عصام assadjam692@gmail.com

*** *** ***

1- مقدمة :

الحديث النبوي الشريف جمع بين أساليب التعبير المتنوعة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم تارة يوجز، وتارة يسهب في الكلام، وتارة أخرى يأتي بالعبارة بين بين وذلك مراعاة لما يقتضيه حال المخاطَب ويدعو إليه موطن الخطاب، وقد اصطلح علماء البلاغة على هذه الأساليب بالإيجاز، والإطناب والمساواة تواليا.

وسنركز في هذا البحث على أسلوب الإطناب في الحديث النبوي وأبعاده الجمالية، إذ الإطناب باب بلاغي قديم قدم الإيجاز، ارتبط به ارتباط العضو بالعضو يتكاملان ليؤلفا هيئة أدبية سوية البنية والملامح. فما هي الأبعاد الجمالية للإطناب في الحديث النبوي الشريف؟

ويهدف البحث إلى المساهمة في كشف الغطاء عن مفهوم الإطناب وعن توجيه أنظار الباحثين إلى الاهتمام بالبحث عن مظاهر الأساليب البلاغية في الحديث الشريف، فبلاغته لا تقل أهمية عن بلاغة القرآن الكريم.

أما أهميته فتكمن في الإجابة عن إشكالية مطروحة في البحث وهي :

- مفهوم الإطناب كفن بلاغي في الحديث النبوي الشريف وبيان أبعاده الجمالية والفنية وإسهامه في مباحث البلاغة العربية ثم الكشف عن الالتباس الواقع بين مفهوم الإطناب كفن بلاغي يرتبط بفائدة، وبين الإطالة كمفهوم سلبي، فالإطناب يمثل مظهرا من مظاهر فصاحته ﷺ، لذلك يتوجب على الباحثين أن يثروا البحث في هذا الجانب وفي جوانب بلاغية أخرى.

2- تعريف الإطناب في كتب البلاغة:

تكاد تتفق كتب البلاغة في تعريفها للإطناب على مضمون واحد، فقد عرفه صاحب الطراز بقوله" زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد"[1]، ومعنى ذلك أن الزيادة لا تكون إلا لفائدة، وهذه الفائدة يراد بها تقوية المعنى " وتوكيده - نحو (قَالَ *رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا*) - أي: كبرتُ فإذا لم تكن في الزيادة فائدة، يسمى تطويلا إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة"[2].

وقد ذكر الجاحظ مصطلح الإطناب عندما عرض لحاجات الكلام ومنطقه، وأن هناك مواقف تختلف فيها أساليب الكلام، فالعرب كانت تطيل وتقصر تطبيقا للقاعدة البلاغية (لكل مقام مقال) فقال: "وربما كان الإيجاز محموداً والإكثار مذموماً، وربما رأيت الإكثار أحمد من الإيجاز، ولكل مذهب ووجه عند العاقل، ولكل مكان مقال، ولكل كلام جواب. مع أن الإيجاز أسهل مراما وأيسر مطلباً من الإطناب، ومن قدر على الكثير كان على القليل أقدر"[3].

فالجاحظ هنا يضع الإطناب والإيجاز كثنائية تقابلية، والإيجاز عنده هو مرادف للقليل والإطناب مرادف الإطالة والتكثير، وقد فرق أبو هلال من جهته بين الإطناب والإطالة ويذكر ذلك في كتابه الصناعتين إذ يقول:" فالإطناب بلاغة؛ والتطويل عيّ؛ لأن

التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوى على زيادة فائدة"[4].

وقد أشار المرزوقي في هذا الباب إلى مصطلحات أربع، وهي:الإطناب، والإيجاز والتطويل والتقصير، فالإطناب يقابل الإيجاز، والتطويل يقابل التقصير[5].

" فالإطناب واد من أودية البلاغة، ولا يرد إلا في الكلام المؤتلف، ولا يختص بالمفردات، لأن معناه لا يحصل إلا فى الأمور المركبة "[6]، وهو مسلك سلكه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة مادامت غاية كل حديث مرتبطة بفائدة، وقد أظهر لنا صلى الله عليه وسلم وجها من وجوه إعجازه، وعن جماليات إطنابه في خطابه، جمالية في الألفاظ وذلك بقدرته على تخيره الدقيق لها ومعرفته بالفروق الدلالية بينها، جمالية في المعنى وذلك من خلال براعته في التعبير عن المعاني الدقيقة واختيار الأساليب الملائمة لها إيجازا وإطنابا، جمالية في التصوير وذلك بحنكته في التصوير والتشبيه وكأنك أمام لوحات فنية ممتعة.

3- أقسام الإطناب وبعدها الجمالي:

قُسّم الإطناب باعتبارات مختلفة وسنذكر في هذا المقال ثلاثة أنواع منها أدرجها بعض البلاغيين ضمن قسم "الإيضاح بعد الإبهام" وهي الإيغال، والتوشيع، والتذييل وهذا نظرا لصعوبة مفهومها .

فالإيضاح بعد الإبهام المقصود به أن يجمل المعنى ويبهم ثم يفصّل ويبين، فيبدو في صورتين مختلفتين، "قال أهل البيان: إذا أردت أن تُبْهِمَ ثم توضّح فَإنّك تطنب"[7].

أ- جمالية الإطناب بالتوشيع:

أدرج البلاغيون ومنهم القزويني التوشيع ضمن قسم الإيضاح بعد الإبهام، وهو ينتمي إلى علم المعاني، ومعناه " أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما

معطوف على الآخر، أو يؤتى بجمع مفسر بأسماء معطوف بعضها على بعض. مثاله في المثنى قولهم: خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق. وقولهم: يشيب ابن آدم، ويشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل. ونحو: علينا بالشفاءين: العسل والقرآن"[8]

وقد يأتي التوشيع في وسط الكلام، وقد يكون جمعا غير مثنى، وتكمن جمالية هذا النوع في كون المعنى يُرى في صورتين مختلفتين، صورة مفردة وصورة مثناة " يخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس"[9].

ومما ورد من الحديث من هذا النوع:ما **رواه البخاري عَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – : « يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ" فقلب ابن آدم دائما معلق بالدنيا وما فيها من ملذات وشهوات، غير أنه أحرص على أمرين وهما حب النفس وطول أمله في البقاء، وقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نزهد في هذه الدنيا وأن لا نتعلق بها لأنها دار فناء.**

وقد جاء في فتح الباري تعقيبا على هذا الحديث قوله :"في هذا الحديث كراهة الحرص على طول العمر وكثرة المال وأن ذلك ليس بمحمود وقال غيره الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالبا طول العمر فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه"[10] وقد رأينا أن المعنى في الحديث ظهر في صورتين مختلفتين، صورة مفردة وهي لفظة (اثنان) وصورة مثناة وهما (حب المال، وطول العمر) وهذا أسلوب بلاغي في غاية الحسن والجمال.

ومن الإطناب بالتوشيع أيضا ما ورد في الحديث فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: <<**لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسَلَّطَه على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورجل آتاه الله حِكْمَة، فهو يقضي بها ويُعَلِّمَها** » متفق عليه.

استهل الرسول ﷺ حديثه بعبارة (لا حسد إلا في اثنتين)، فيتبادر إلا الذهن إلى أن الحسد جائز في موقفين وهو الخبر المحذوف لـ(لا) النافية للجنس، إذ أن خصلة الحسد خصلة مذمومة في عرف الناس وطباعهم فما بالك بها في دين الإسلام، قال ابن الجوزي: "الحسد: هو تمني زوال النّعمة عن المحسود وإن لم تصر للحاسد، وسببه أنه قد وضع في الطباع كراهة المماثلة وحب الرّفعة على الجنس، فإذا رأى الإنسان من قد نال ما لم ينل أحب بالطبع أن يزول ذلك ليقع التّساوي، أو ليحصل له الارتفاع على ذلك الشّخص" [11].

وبناء على ما سبق، هل المقصود بالحسد هو المعنى المذكور وهو تمني زوال النعمة، أم أن هناك معنى آخر يقصده الحديث؟، فهذا تساؤل يجعلك تتشوق للإجابة وتتطلع للمعنى المقصود لأن المعنى المذكور يخالف تعاليم ديننا السمح، لذلك يقول النووي جوابا عن هذا التساؤل "قال العلماء الحسد قسمان حقيقيّ ومجازيّ فالحقيقيّ تمنّي زوال النّعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمّة مع النّصوص الصّحيحة ؛ وأمّا المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنّى مثل النّعمة الّتي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدّنيا كانت مباحة وإن كانت طاعة فهي مستحبّة والمراد بالحديث لا غبطة محمودة إلّا في هاتين الخصلتين وما في معناهما"[12] .

فلفظة الحسد هنا تعبير مجازي تحول فيها المعنى من شيء مرغوب عنه إلى أمر مرغوب فيه فصارت النفس تتمناه فتقول: "ليتني أُوتيت مثْل ما أُوتي فلان فعملت مثْل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحقّ، فقال رجل: ليتني أُوتيت مثل ما أُوتي فلان فعلمت مثْل ما يعمل به"[13].

فجمالية هذا النوع في تكمن كون في المعنى يتجلى في صورتين مختلفتين، صورة في لفظ (الحسد) وهي صورة مفردة جعلتنا نتشوق للحسد المباح والذي سماه العلماء بالغبطة، وصورة مثناة وهما الصورتان اللتان يتجلى فيهما الحسد وهما (المال والحكمة) فقد خرج المعنى من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس.

ب-جمالية الإطناب بالإيغال:

جاء في كتاب التعريفات أن الإيغال "هو ختم البيت بما يفيد نكتةً يتم المعنى بدونها، لزيادة المبالغة"[14].

وعرفه العسكري بقوله:"هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا"[15].

وقد ربط البلاغيون هذا المصطلح بالقوافي الشعرية، وكأن هذه الزيادة لا تكون إلا في القافية إذ يؤتى به للمبالغة، قال ابن رشيق: " وهو ضرب من المبالغة ... إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها، والحاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية"[16].

وقد سمى أصحاب صناعة الشعر هذا المعنى الإيغال وأرادوا بذلك أن الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كان واصفا وفي التشبيه إن كان مشبها[17].

غير أن بعض أهل البيان قالوا بأنه لا يختص بالشعر فقط، إذ ورد الإيغال في القرآن الكريم وفي الشعر العربي معا .

ومما ورد من الإيغال في الحديث النبوي الشريف عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: **"رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها، والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة، خيرٌ من الدنيا وما عليها."**(متفق عليه)

فالإيغال هنا في قوله ﷺ (وما عليها) وهو إيغال للمبالغة، لأن قوله (خير من الدنيا) تشمل كل المعاني والنعم الموجودة في هذه الدنيا، وهذه المبالغة جاءت لتحدد لنا فضل الرباط في سبيل الله وما تلاه من المتعاطفات، قال السفاريني : "وفائدة العدول عن قوله: وما فيها: هو أن معنى الاستعلاء أعمُّ من الظرفية، وأقوى، فقصده لزيادة المبالغة"[18].

وزاد ابن حجر: " أنّ المراد تسهيل أمر الدّنيا وتعظيم أمر الجهاد، وأنّ من حصل له من الجنّة قدر سوط يصير كأنّه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدّنيا. فكيف بمن حصل منها أعلى الدّرجات"[19]

ويتحقق معنى المبالغة في الإيغال في الحديث الشريف من خلال ترابط حروف لغة الحديث وكلماته وجمله إذ معنى المبالغة هو حاصل هذه المجانسة..

ومما جاء من الإيغال في الحديث النبوي أيضا هو ما ورد في صحيح الجامع رقم الحديث (2317) عن أبي سعيد الخذري - أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "... **إِنَّما أخافُ عليكم مِنْ بعدي ما يُفْتَحُ عليكم مِنْ زهرةِ الدنيا وزينتِها، إِنَّه لا يأتي الخيرُ بالشَّرِّ. إِنَّ مِمَّا يُنبِتُ الربيعُ يقتلُ حَبَطًا، أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ، فإِنَّها أَكَلَتْ حتَّى إذا امْتَلَأَتْ خاصِرتَاها استقْبَلَتْ الشمسَ فثَلَطَتْ وبالَتْ، ثُمَّ رَتَعَتْ، وإِنَّ هذا المالَ خضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صاحِبُ المسلِمِ هُوَ ؛لِمَنْ أَعْطَاهُ المسكينَ واليتيمَ وابنَ السبيلِ، فمَنْ أخذَهُ بِحَقِّهِ ؛وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ المعونَةُ هُو، وَمَنْ أَخَذَهُ بغيرِ حقِّهِ، كان كالذي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، ويكونُ عليه شهيدًا يومَ القيامَةِ**"

فأسلوب الإيغال هنا هو قوله: (ويكون عليه شهيدا)، فقد استوفى المعنى قبل بلوغ هذا المقطع، ثم أتى به ليضيف معنى جديدا أكد به بطلان أخذ المال بغير حق وبين خطورة هذا الفعل في الدنيا والآخرة، قال ابن حجرّ:"(ويكون عليه شهيداً يوم القيامة) يحتمل أن يشهد عليه حقيقة، بأن ينطقه الله تعالى، ويجوز أن يكون مجازاً عن شهادة

الملك الموكل به. ... والهدف من هذه الشهادة زيادة الإيلام النفسي بعد العذاب الجسمي، حين يتحول صديق الدنيا عدواً يوم القيامة"[20].

وتظهر فائدة الإيغال وجماليته في الحديث الشريف في كونه يظهر لنا بعض الوجوه التفسيرية من خلال النظر في نظمه والتأمل في تراكيبه، كما يظهر لنا جودة السبك وإحكام السرد وتماسك الكلمات، وعدم التكلف، إذ يحتاج الحديث إلى هذه الزيادة لدرجة عدم القدرة على الاستغناء عنها، ومعنى ذلك أنه لا يأتي في الكلام إلا لنكتة وهي إما المبالغة كما يظهر في المثال الأول، وإما لدفع التوهم غير المقصود .

ج-جمالية الإطناب بالتذييل:

يستظهر أبو هلال العسكري في كلامه مرتبة التذييل وأهميته في الكلام بقوله:"وللتذييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير لأن المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا"[21]، فهو لون من ألوان الإطناب، وقد عرفه أهل البيان تعريفات مختلفة غير أنها متقاربة المعنى فهو: - "إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه "[22]. وبصيغة أخرى -"أن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها"[23] .وهو بصيغة ثالثة - " تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها تأكيدا لها، فإن المعنى في كلا البيتين قدِ تم في الشطر الأول، ثم ذُيِّل بالشطر الثاني للتوكيد " [24]. وهو - أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام"[25]. وعرفه الأزراري:"- أن يذيل الناظم أو الناثر كلامًا، بعد تمامه وحسن السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيدًا وتجري مجرى المثل، بزيادة التحقيق"[26].

وما يمكن أن نستنتجه من خلال هذه التعريفات جملة من خصائص الجملة المذيلة منها:

- أن تعقب الجملة المذيلة جملة سابقة لها فلا تتقدم عنها.

- أن ترادف الجملة المذيلة الجملة السابقة لها في معناها أو فحواها وليس في لفظها، وإلا سمي ذلك تكرارا.

- أن تكون الجملة المذيلة جملة وليس مفردا وإلا سمي ذلك إيغالا.

- أن تأتي الجملة المذيلة بعد تمام الكلام الذي يسبقها، فهي مستقلة عنها.

- أن تفيد الجملة المذيلة نكتة وهي التوكيد والتحقيق.

وينقسم التذييل إلى قسمين:

أ- قسم يستقل بمعناه لجريانه مجرى المثل فيكون في الشعر والنثر.

ب- قسم لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة، وقد ورد هذا النوع في النظم النثر أيضا.

أما ما وقع من هذا النوع في الحديث النبوي الشريف فمنه الكثير فقد روى أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربّه عزَّ وجلَّ، قال: " **إنَّ ربَّكم تعالَى رحيمٌ؛ من همَّ بحسنةٍ فلم يعملْها كُتِبتْ له حسنةً، فإن عمِلها كُتِبتْ له عشرَ أمثالِها، إلى سبعِمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملْها كُتِبتْ له حسنةً، فإن عمِلها كُتِبتْ عليه واحدةً أو يمحوها، ولا يهلِكُ على اللهِ عزَّوجلَّ إلَّا هالكٌ**".

" فقوله ﷺ: " ولا يهلك على الله إلا هالك "، تذييل في غاية الحسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل.

قال ابن رجب في شرح معنى هذا التذييل : "يعني بعد هذا الفضل العظيم من الله، والرحمة الواسعة منه بمضاعفة الحسنات، والتَّجاوز عن السيِّئات، لا يهلك على الله إلاّ من هلك، وألقى بيده إلى التّهلكة، وتجرّأ على السيِّئات، ورغب عن الحسنات، وأعرض عنها. ولهذا قال ابنُ مسعود: ويلٌ لمن غلب وحْدانُه عشراته" [27] فرحمة الله

وسعت خلقه، وسبقت عذابه، وحجته قائمة عليهم فهو لا يظلمهم ولا يبخسهم حقهم، ومن هلك فإنما إثمه على نفسه .

أما من ناحية جمالية هذا التذييل والذي خرج مخرج المثل وهو مستقل بمعناه وجيء به لتأكيد المعنى السابق ويصلح أيضا للمعاني المشابهة مادامت الأمثال تتجاوز الأماكن والأزمنة في دلالاتها، وقد وصف الرافعي هذا التذييل وأحسن وصفه إذ يقول: " فتأمل هذا التذييل العجيب، فإنك لا تقضي منه عجبًا، ولن يعجز إنسان أن يهم بالخير، يفعله أولا يفعله، وأن ينزع إلى الشر فيمسك عنه، فإن عجز حتى عن هذا فما فيه آدمية، ورحمة الله تنال الإنسان بأسباب من خيره، ومن شره إذا كان فيه الضمير الإنساني، وهذا في الغاية كما ترى"[28].

ومعنى ذلك أن الله عز وجل لم يعجز خلقه، ولم يقيد تصرفاتهم، فهو يجازيهم حتى على نواياهم إن نووا فعل الخير أو ابتعدوا عن الشر، فمن هلك منهم مع سعة رحمته وكرمه وتفضله بهذا التضعيف فهو الهالك المحروم.

ولجملة التذييل النبوية وظيفة نفسية تبدي آثارها في نفس المتلقي، فبناها مدعمة بالحجة، مقرونة بالبرهان، وهي تحث المتلقي على الإفادة من سابق الأحداث، والاعتبار بسالف التجارب، والتأمل بواقع الدلائل، وهذا ما يجعل النفس تواقة إلى الإفادة من فحواها على مر الأزمنة، ثم إنها تحمل النفس على العظة والاستجابة، وأنها مسبوقة للسيطرة على النوازع الداخلية وجعلها تستجيب لمرامي النبوة مع التأكيد على هذه التجارب[29].

ومما ورد أيضا من التذييل في الحديث المتفق عليه فعن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه - صلّى اللّه عليه وسلّم -: «**إنّ العبد ليعمل عمل أهل النّار، وإنّه من أهل الجنّة، ويعمل عمل أهل الجنّة، وإنّه من أهل النّار، وإنّما الأعمال بالخواتيم**) .

استفتح الحديث بأداة التوكيد (إنَّ) ثم ذكر (العبد) معرفا بألف ولام والتي تفيد الاستغراق، ثم ذكر الخبر جملة فعلية(ليعمل عمل أهل النار) مؤكدة باللام وهي للدلالة على تجدد العمل وتكراره في حياة العبد، "أَيّ عبد من عبيد اللّه (ليعمل عمل أهل النّار) أي: ظاهرا وصورة أو أوّلا، أو في نظر الخلق (وإنّه من أهل الجنّة) أَي: باطنا، ومعنى أو آخرا، أو في علم اللّه تعالى، والواو حاليّة، وإنّ مكسورة بعدها (ويعمل) أي: عبد آخر (عمل أهل الجنّة، وإنّه من أهل النّار"[30]، وتعقب جملة التذييل الجملة المذيل لها لتؤكد مضمونها بعد أن اشتملت عليه لمزيد التقرير وتمتثل في قوله: (وإِنّما الأعمال بالخواتيم)، ومعنى ذلك" أن العمل السابق ليس بمعتبر، وإنما المعتبر العمل الذي ختم به، ...، وفي هذا حث على مواظبة الطاعات، ومراقبة الأوقات، وعلى حفظها عن معاصي الله تعالى خوفا عن أن يكون ذلك آخر عمره، وفيه زجر عن العجب والفرح بالأعمال، فرب متكل هو مغرور؛ [فإن العبد لا يدري ماذا يصيبه في العاقبة. وفيه أنه لا يجوز لأحد أن يشهد لأحد بالجنة أو النار] فإن أمور العبد بمشيئة الله وقدره السابق"[31].

وهنا تظهر براعة الختام في الحديث النبوي، فحسن الختام "آخِرُ ما يطْرُقُ الأسماع أو يقع عليه نظر المتلقي، فيَحْسُنُ فيه أن يكون بمثابة أطيب لُقْمةٍ في آخر الطعام، أو بمثابةِ آخر اللّمساتِ الناعمات المؤثرات الّتِي تعْلَقُ في النفوس، وتَسْكُنُ عندها سُكُونَ ارتياح، وتظلُّ لهَا ذكرياتٌ تُحرِّكُ النفوس بالشوق إلى المزيد من أمثال ذلك الحديث"[32] .

ومن الحسن البديع في الختام أن يجمع خلاصة مختزلة لأمّهات الموضوع الذي سبق في الأوساط شرحه، مع التذييل بالعظة المقصودة، أو القاعدة الكليّة الاعتقاديّة الّتي بُنِيَ عليها الموضوعَ، أو اشْتُقَّ منها، أو اعتمد عليها[33].

4-الخاتمة:

1- يختلف الإطناب عن الإطالة، فالإطناب واد من أودية البلاغة والإطالة عي، والإطناب يرتبط بزيادة لفائدة.

2- قسم الإطناب باعتبارات مختلفة وقد اقتصرنا على أنواع ثلاثة وهي الإيغال والتوشيع والتذييل، وهذه الثلاثة تندرج تحث قسم (الإيضاح بعد الإبهام)، لأن المعنى يأتي مجملا ثم يفصل ويبين، فيبدو في صورتين مختلفتين .

3- التوشيع هو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الآخر، وجماليته في الحديث الشريف تكمن في كون المعنى يتجلى في صورتين مختلفتين، صورة مفردة مبهمة، تجعلك تتشوف لمعرفة تفصيلها .

4- الإيغال ختم البيت بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونها لزيادة المبالغة، وتكون بزيادة مقطع في القافية أو في الكلام النثري لغرض التأكيد، وتكمن جماليته في الحديث النبوي في كونه يظهر لنا بعض الوجوه التفسيرية وعن جودة السرد وتماسك الكلمات وعدم التكلف.

5- التذييل هو أن تعقب الجملة المذيلة جملة سابقة لها تفيد نكته، وهي إما التوكيد أو التحقيق، وينقسم قسمين، قسم يستقل بمعناه ويكون في شكل مثل، وقسم لا يستقل بمعناه بل يكون مفسرا لما قبله، وجماليته في الحديث تظهر في براعة الختام، وجمع خلاصة مختزلة للموضوع السابق.

*** *** ***

الهوامش

[1] **العلوي: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- - المكتبة العنصرية – ط1، بيروت- 1423 هـ- ج2،ص123.**

[2] أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- -ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي- المكتبة العصرية، (د ط) بيروت – ص201.

[3] الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، رسائل الجاحظ- - تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- 1384 هـ - 1964 م - ج4، ص201 .

[4] العسكري أبو هلال، الصناعتين، ص191 .

[5] ينظر المرزوقي، شرح ديوان الحماسة- أبو على أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني -المحقق: غريد الشيخ- وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1بيروت – لبنان-، 1424 هـ - 2003 م –ص1320.

[6] العلويّ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2، ص123.

[7] الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، ص202.

[8] حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، ج2، ص139.

[9]- الهاشمي : أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- ص202

[10] العسقلاني: شهاب الدين ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط2، بيروت، لبنان، (د-ت) ، ج5، ص410 .

[11] الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تح علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ج1، ص288 .

[12] العراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، طرح التثريب في شرح التقريب، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، - الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)، ج20، ص40.

[13] العينى: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج20، ص42.

[14] الجرجاني: علي بن محمد بن علي، التعريفات، تح إبراهيم الأبياري، دار لكتاب العربي، ط1، بيروت، 1405، ص59.

[15] العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص115.

[16] القيرواني: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، لبنان، 1401 هـ ، 1981 م، ج2، ص59.

[17] الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ، 1982م، ص156.

[18] السفاريني: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، دار النوادر ط1، سوريا، 1428 هـ ، 2007 م، ج7، ص158.

[19] العسقلاني: ابن حجر، فتح السلام شرح عمدة الأحكام، مأخوذ من كتابه فتح الباري، جمعه وهذبه وحققه: أبو محمد عبد السلام بن محمد العامر، ج7، ص485.

[20] موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1423 هـ ، 2002 م، ج4، ص415.

[21] العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص373.

[22] المصدر نفسه، ص373.

[23] الشيزري: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي، البديع في نقد الشعر، المؤلف: تح أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، ص125.

[24] علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، القاهرة، ص250 .

[25] العدواني عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص387.

[26] الحموي: تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، الطبعة الأخيرة، بيروت، 2004م، ج1، ص242.

[27] الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تح الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، حلب، سوريا،1424 هـ ، 2004 م، ج3، ص1053.

[28]- الرافعي : مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر، تاريخ آداب العرب- -دار الكتاب العربي- لبنان- ج2ص220

[29] نعم هاشم الجماس، من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف، (مقال) مجلة التربية والعلم، المجلد 17، العدد 3، سنة 2010، جامعة الموصل، ص198 .

[30] الهروي علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، ط1، بيروت – لبنان، 1422هـ، 2002م، ج1، ص154 -155.

[31] الطيبي: شرف الدين الحسين بن عبد الله، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تح عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط1-1417 هـ ، 1997 م، ج2، ص535.

[32] الميداني : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، ط1، بيروت، 1416 هـ ، 1996 م، ج2، ص563.

[33] المرجع نفسه، ج2، ص564 .